امالى محمود بن العزيز الكاتبى رحمة الله عليه

اخبرنا بها الشيخ الامام الاجل سيد الائمة محى الملة
شرف الافاضل ابو الحسن على بن محمد العمرانى رحمه الله عن المصنف
نعم الله الى العالمين سحب الرحمة سحا عن المسلمين كافة عم عم

مثل الجراد على زرعى فعلت له ... الزم طريقك لا تولع بافساد
فقام منهم خطيبا فوق سنبله ... انا على سفر لا بد من زاد

رب يسر ولا تعسر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الاجل تاج الفضلا شمس المشرق محمود بن العزيز الكاتبي

الحمد لله الذي هو خير المفاتح والصلاة على النبي واله المصابيح والرغبة

الى الله ان يجعل ما ننتحيه هو حبا رضاه ويرى كل ما نتحراه له وفي لقاه مقتضيا لقاه

انه ولي مجيب فقصدنا ان نصرف طرفا من اوقاتنا اثار الرسول صلوات الله عليه

التي هي مبادي السعادة في الدنيا ونهاية النجاة في الاخرى لكن النظر في اثار

الرسول يتقدمه الكلام في الرسول وتحقيق دعوته ويسبق هذا الكلام البحث

عن ارسال الرسول فانه واجب في العقول واذا سلكنا هذا المسلك

لزمنا ان ندل على وجوب الارسال وان وجوده امر لا بد منه فنقول

وبالله الاستعانة ومن عنده التيسير ان الانسان مجبول على اجتلاب منفعته

واجتناب مضرته على هذا مدار شانه مدة بقايه الا انه قد يتوصل

الى تحصيل ما ينفعه تارة ويعجز اخرى فاذا راى نفسه بهذه المثابة

خطر بباله ضعفه ثم تدرج الى ان يتذكر انه قد كان قبل هذا اضعف

واعجز ثم هلم جرا الى ان يقف على اول حاله راجعا القهقرى فيجد

في نفسه انه وجد في غاية الضعف ثم ترقى اطوارا واستوفى ا

هذا المبلغ فاذا تصفحت هذه الخطرات في خلده انتقل منها الى انه موجود

وقد كان معدوما فاخرج من العدم الى الوجود وقد كان استقر عنده بالمشاهدة

ان كل ما كان معدوما ثم وجد فهو حادث ثم يهديه العقل ان الحادث

لا يجوز فيه ان يحدث بنفسه من غير سبب او ان يكون نفسه سببا لوجود

نفسه فيتضح له انه لما كان حادثا فلا بد له من محدث وان كان

ذلك المحدث يجب ان يكون دايم الوجود غير حادث والا تسلسل البحث

وذلك هو الله تعالى عما يقول الظالمون فاذن بالضرورة كل عاقل

ينتهي بنظره الى انه لا بد من وجوده من الله تعالى فهذه الطريقة مع سهولتها

كافية للمستدل ثم انه يلوح للمستدل ان هذا المحدث وهو الله تعالى يجب

ان يكون قادرا لان العاجز لا يقدر على ايجاد ما هو عاجز عنه ويجب

ان يكون عالما اذ الجاهل لا يترجح عنده جنبة الوجود على جنبة العدم

ويجب ان يكون حكيما كما يعاين في نفسه من التركيب البديع

والتنضيد العجيب الذي لا يصدر عن موجده جزافا بل بالقصد

والاختيار فانه اذا تامل اعضاءه ووضع بعضها من بعض

الا عدت له من الامور الضرورية والمنافع التابعة والزينة

٢ البليغه والمقاصد الجمة في كل واحد منها استعظم هذه البنية
واستبدع هذه الحكمة ومن اظهر ذلك حال يديه
اللتين خلقتا لتقريب ما ينتفع به وتبعيد ما يستضر به
فتارة كالمغرفة وتارة كالقصعة وتارة كالزنفش
وتارة كالمكيال وتارة كالخزانة لما يودع فيهما فان
كان ذلك الشيء المخزون مما يخاف انتشاره من الخصاص
جعل الابهام كالسداد لهما وجعلت الاصابع مختلفة
المقادير عند البسط لتستوي عند القبض والشكل الكري
فهذا شيء من جهة اخذ ما يطلب واما حالة الدفع فان
اليد تكون سلاحا اما بالاصابع ان كان المدفوع هينا
واما بالراحة ان كان ذلك قليلا واما بجمع الكف اقوى
ان زاد وزاد في ما في الظفر وفيه من الحكمة ما اذا
وقف عليه الانسان تيقن رحمة الله الواسعة لانه للتنقية
والحك ولان يكون مستندا للانامل ولان يتوصل به الى
لقط الاشيا المتناهية في الصغر وقد يكون سلاحا

ولهذا امر النبي صلى الله عليه بتطويل الاظفار في دار الحرب ومن
البين الظاهر حال الاسنان فانها في خلقتها اعدت على اشكال
لاغراض متفننة فالثنايا والرباعيات للقطع والانياب
للكسر والاضراس للطحن فاذا حصل الطعام في الفم فقد جعل
الغدد منبعا للرطوبة التي يحتاج اليها في بل الطعام وترطيبه
وخلق اللسان آلة لتقليب الطعام وجمعه ونقله من جانب
الى جانب الى منافع اخر وعلى هذا اذا تامل الانسان تفصيل
بدنه وما بني منه من العظام والعروق والعصب والرباطات
والاغشية والعضل احاط علما بغاية متكاملة من عند
محدثه البار الرحيم ويعثر ايضا استطرافه لهذه العجائب
على اشيا ليست ضرورية في وجوده وحياته وانما هي مكملات
وزينة كالحاجبين اللذين لا نقص بعدمهما حياة الانسان
وانما خلقتا زينة للوجه وحلية للعينين وقد يعان العباد
في تلك الاحوال ومتى علم الانسان ان الله تعالى لم يضن عليه
بما هو زينة له ونافع في حياته فكيف يتوهم انه يضن عليه بما هو

٣
مقترن للحياة في الدنيا الفانية والحياة في الاخرى الباقية ومواد ارسال
الرسول فانه نظام السعادة الدنياوية ومناهج الطريق الى الغبطة
والنجاة الاخروية فاذن لا يليق بحكمة الله تعالى التي قد تناهت
الى ان تعطي من الرحمة ما هو فرع وتابع في الخلق وان يبخل بما هو مقدم
واصل ملازم على هذه الاصول الواضحة والاعتبارات النيرة ان
يرسل الله تعالى الرسل الى خلقه ليهديهم الى المصالح دينا ودنيا

ومن املائه

واذا ثبت انه لا بد من ارسال الرسول من عند الله العزيز الحكيم فالحاجة
بعد هذا الى الدلالة على رسالة رسول معين فنقول ان كل امة قد عنيت
باثبات الدلائل على نبوة نبيها وذلك امر مفروغ عنه واما نحن فنشير
الى بيان ما يدل على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وذلك ان نحقق
اولا معنى النبوة وحليه حالها فاذا وجدناها في انسان فهو النبي
ومن الواضح ان النبوة وساطة بين الله وبين عباده مرشدة الى مصالحهم
في الدنيا والاخرة ولما تاملنا ما ورد به نبينا صلى الله عليه
صادفناه مطابقا لما قررناه فان جميع ما جاء به مواد
ان يكون عليه الانسان حتى ينظم له الحياة الطيبة وا

الى الفوز النجاة في المعاد فاذن بموجب ما قدمنا هو بين لكنه
يجوز ان ينتحل انسان ما جاء به النبي ويضيفه الى الله تعالى
ويدعي انه نبي فمن الواجب ان يكون النبي متميزا بخصايص خارقة
للعادة فائتة من قوى البشر حتى يتضح ان ما جاء به انما هو من عند الله
ونبينا صلوات الله عليه حصل بهذه المزايا وطريق ثبوتها الاخبار
المتواتر الخارج عن مظنة التواطؤ وقد جاءت الاثار الصحيحة
التي تستغني عن ايرادها في مثل هذا الموضع لكنا نومي الى ما شرفت
به هذه الامة من استدامة معجزة نبيها تفضيلا لها على ساير الامم وهو
الاعجاز في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه **ومن املائه** فنقول ان القرآن معجز وما تبت قوى
البشر ان ياتوا بمثله والادلة على ذلك تنقسم قسمين منها قسم مقنع ومنها قسم
قاطع ونقدم المقنعة ثم نتخلص منها الى الادلة القاطعة فمن ذلك
ان النبي صلى الله عليه لما اظهر النبوة وصدع بالرسالة عورض
في دعواه بالرد فاقام الدلالة لدعواه ان ياتوا بمثل هذا القرآن
الذي نزل عليه فالعرب كلهم قاطبة اعجزوا عما تحداهم اليه

واخذوا في طرق اخرى من المشاقة فمنهم من نسبه الى الجنون ومنهم نسبه
الى الكهانة ومنهم من نسبه الى الكذب ومنهم من نسبه الى انه يستعين الكهانة
بآخرين فجميعهم اطبقوا على الانحراف عن سنن مناقضته بان
يقولوا نحن نأتي بما هو احسن وافصح وابلغ مما جئت فلو احسوا
في انفسهم بقوة تنهض بالمعارضة لما استبد به القرآن من الفصاحة
والبلاغة لما صاروا الى ان يقولوا انه كذب وجنون وكهانة
فان التحدي ما كان بان ياتوا بصدق بل وسع عليهم طريق الاعتراض
بان ياتوا بمثل هذا القرآن وان كان مفترى متخرصا هذا وجه
ووجه آخر وهو ان العرب العاربة الذين فيهم البذخ والنخوة
والانفة والكبر وان يحاموا على اولادهم بكل ما امكن وبما يستطيعون وبهم
اليه سبيلا حتى يفدوا ذراريهم بانفسهم وقد رايناهم قد عدلوا بعظيم
عن هذا المنهاج عند التحدي الى ان ياتوا بمثل هذا القرآن الى ما
اباد ذراريهم واستباح اموالهم واتى على مهجهم والجراب
انما يصار اليه لانقطاع الحيل والياس من الظفر فلو كانوا
يشعرون من انفسهم بالفلج اذا عارضوا القرآن وجاءوا بما

في فصاحته وبلاغته لما آثروا الذي هو مبيد للنفوس ومستهلك
للاولاد ولاشك انهم كانوا عقلاء والعاقل لا يختار مباشرة الاشق
اذا بلغ مبتغاه بالاهون لاسيما اذا كان ذلك الاشق مما يوقع ذلك العاقل يوقع
ويوبق حياته في الطامة انهم اضطروا الى ما باشروا لعجزهم يهلك
عما تحدوا اليه فما ذكرناه من المقنعات واما قلنا هذا لانه يجوز
ان يعترض معترض فيقول انكم ادعيتم انهم ما صاروا
اليه الا ما كان ذلك للعجز ليس كذلك فانه يجوز ان يعرضوا عن
المعارضة استهانة به واحتقارا وقطعا للشغب فان الكلام
قد يمتد فيه النفس ويمكن ان يدعي كل واحد من المتجادلين
فيه جودة الفصاحة وبلوغ النهاية فاما القتال فان الغالب
فيه ظاهر والمغلوب فيه كذلك فهم انما تركوا المعارضة بالكلام
لانها حجة قد تخفى وآثروا القتال استيصالا لشافة الفساد
بزعمهم فلما جاز ان يخطر ببال معترض هذا القدر من الاعتراض عددناه
والمقنعات وسنذكر الجواب عن هذا الخاطر ان خطر ببال احد مع
املائه والجواب انه ذكروا ان احد الخصمين لا يصير الى الاشق

لاقدح فيه

الاصعب اذا كنّا لا نأمن ان الاسهل هو الصحيح الذي لا مغمز فيه وأمّا
ما يقال من انهم تهيّبوا وتركوا المجاذبة باهداب الكلام وصاروا الى المناهضة
والقتال اختيارا لا يصح فان الكلام واقع بين متخاصمين عاقلين
يريان ما لهما وعليهما ويختاران ما يكون اشدّ تبليغا الى المراد وادنى
الى الغرض المرتاد ومن البيّن انهم كانوا عقلاء ومن الواضح ان انشاء
خطبة من النثر او قرض قصيدة من الشعر تجمع بها مناويه وبقهرهما
منابذ معاند اقرب من تجشم القتال والاستعمال باعبائه وضبط
مباديه واسبابه هذا مما لا يخفى فاذا كانوا عقلاء قطعا وطرحوا
ما هو اهون قطعا تبيّن انهم انما اطرحوه عجزا عنه وجهلا به وانهم
لم يهتدوا له ولم تسوّل لهم انفسهم في الشروع فيه ومحاولة الانجاح به
ثم نقول من داس ان القرآن معجز وثبت هاهنا الدليل
القاطع وهو انا نعني بالمعجز ما يفوت قوى البشر ويبهر مستمعهم
فلا يستطيعون الاتيان بما يعادله والقرآن بهذه الصفة الا انا
اذا تأمّلنا وجه اعجازه وجدنا فضيلته في معناه وابرازه
على غيره فيها وفضيلة القرآن هي من جنس فضائل الكلام الا انها

زائدة على فضيلة سائر الكلام زيادة واضحة والكلام يفضل
غيره لوجوه تلك الوجوه كلها قد اجتمعت في فضيلة القرآن واستبد
بزوائد لا توجد في غيره وفي ايراد تلك الوجوه طول ونحن نجمع
جوامعها ونأتي بما هي نتيجتها وثمرتها وهي ان تلك الوجوه
كلها منتهية الى ان يكون الكلام هو لغاية ما يكون ابلغ
في انجاح الغرض المطلوب به ويكون تأثيره في السامع
آكد واشدّ واكثر واسرع فاذا كان الكلام بهذه الصفة
فضل غيره الذي لم يشاركه في هذه الخلال واذا تصفحنا
تأثير القرآن في السامعين وجدناه انتهى به الى ما ليس وراءها
مطمح فان كل من تلي ويتلى عليه وكان يحيط بمعانيه
اذعن لقبوله لا وانقاد لاوامره على ما نطقت به الاخبار
عند استماع العرب والاعراب اليه وانهم كيف
كانوا يهتزّون له ويعجبون به وهلم جرّا الى عصرنا
فان كل من سمعه واحاط بمعانيه قد آمن به
الا من له مانع من حسد او عارض سوء من انفة

فاما من جرد النظر ولم يلتفت لفت الهوى فقد ظهر له ان القران
فيه ظهورًا ابلغ من تاثير سائر الكلام بل لا يؤثر الكلام الاخر
لا نسبة له الى ما يؤثره القران فان الكلام غير القرآن قد يؤثر
بشطر منه وينبئ بشطر حتى لا يبدا اصلاً فاما القرآن
فانه من مفتتحه الى مختتمه على نسق واحد وعلى منهاج منفرد
وليس في قوى البشر ان تستمر في امر على نسق حتى لا يقع فيه اختلاف
بل تشتد تارة وتشتد واخرى تضعف فعلى هذا يجب
ان يفهم الاعجاز في القرآن والله الموفق للصواب

ومن امثلة باب ونقول ان هذه الطريقة
هي الموصلة الى استيضاح النفس للدلائل الحجة في نبوة سيدنا
محمد صلى الله عليه وهذا الاستدلال مستمر الى اخر الابد ما دامت
السموات والارض من غير ان يطرا عليه ما يغيره في وجه او يفسخ
قوة من مراتبه فاما الاخبار التي وردت في المعجزات مثل
انشقاق القمر وكلام الذئب وشكاية الجمل واطعام العسكر
الجرار من جفنه وان الماء نبع من بين اصابعه وامثال ه

تداخل في جملة الاخبار التي تمكنت ان تشعبتها بالعناد
وان يجحد الحق فيظلمه باللجاج فاما الاعجاز في القران فهو ثابت
قائم ومتضح للمستبصر دائب فان قلت فاذا كان القرآن بهذه
المثابة ومتميز في هذه الصنعة التي لا امكن احدا ان يشك
في ذلك لنبها فما بال القوم وهم ذكر قد ذهب عليهم
الاستضاءة بنوره والاهتداء بدليله وكان الواجب على
زعمك هذا ان يطبق الناس على اجلالهم صفقة واحدة
على الانقياد لاوامره والامتثال لزواجره وتصديق النبي
الذي انزل عليه بل تفرقوا في ذلك فمنهم من رآه كلاما
كسائر الكلام ومنهم من رآه قد تميز عن غيره ولكن بمعانيه
طمعا في انسابه ومن دقق النظر فعرف ان هذا الكلام
داراما ذهب غيره بفضيلة فيه لكن ذلك ليس دليلا على نبوة
من جاء به ولكن لانه لا يزال يتفق في كل حين يزاوله
المزاولون ان يتفاوتوا في رتبته ويتفاضلوا في درجة
[illegible] ان يوجد واحد من صولة المزاو ولبن مختصا بفضيله

٧ لا توجد في الباقين واستشهدوا على ذلك بان الشعر وان تفاوت الشعراء
في مضماره لكن وقع الاتفاق على ان امرأ القيس امرؤهم وابلغهم
وان فاتوا الحصر فقد اجمعوا على ان الجاحظ برز في الخطبة
واستولى على الامد وكذلك ذكروا اصناعات اخرى كالطب
فقالوا ان جالينوس هو الذي يشهد به الخناصر وان كان الاطباء
قد طبقوا الآفاق فلا عجب ايضا ان يحدث في انواع الخطب
واجناس الكلام المنثور ما يكون قوة من اتى به فوق قوة من شاركه
ويكون نسبته الى الكلام المنثور كنسبة شعر امرئ القيس الى سائر
الشعر حتى لا يدل ذلك على انه امر منزل من عند الله تعالى والجواب
ان للاتفاق وجوها ان صاحبه كان اجنبيا واهدى لسائر الدقائق
الغامضة واللطائف الخفية التي يختص بها منظوم دون منظوم
اخرى فهذا ما يمكن للمعترض وقد وفينا حقه من الشرح حتى اذا
اجبنا عنه كنا استأصلنا الشأفة وحسمنا الداء والله المؤيد
لنصرة دينه ومظهر حقه م

فالجواب

عن جميع ما ذكر كله اما قولهم انه كان يجب ان لا يذهب على احد اعجاز القرآن

فان الامور التي تضلل الافهام وتزيغ الاذهان عن المراشد الصحيحة
والمصالح الحقة كثيرة وقد صنفت في ذلك التصانيف الكثيرة فمن ذلك
ان يسمع الانسان حقا فلا يجع فيه وذلك بانه نشأ على خلافه
وانس بموجبات صحة فلا يتلقاها بالتفكر فيه والتدبر له
بل يراه بعين الازدراء وينبذه نبذ الاحتقار ولا يفهمه
بادئ ما ينظر فيه بل يحطه عن تلك الدرجة فالامر وان كان
في نفسه حقا الا انه لم يعتبر حسب تحققه لم يصر حقا عند سامعه
والناظر فيه فهذا وجه ومن ذلك معاداة من جاء بالحق فانه
لا يمكن من ان يظهر الحق على يده بل يجتهد العدو في محو فضيلته
واذهاب رونقه ومن ذلك ان يكون السامع صديقا للمخالف
هذا الحق ويكون قد سمع منه تزييفا لهذا الكلام فلاجل
وثوقه بذلك الصديق يبادر الى تزييف ما زيفه ويسارع
الى رد ما رده ومن ذلك ان يكون الامر في نفسه صعبا الا انه
يتضمن ابطال غرض على المخاطب كرياسة او طعمة او غيرهما
والاحترام بين اصحابه فلا يهون عليه ان يستقبل هذا

الحق بالقبول لما يستقص عليه من الاعراض فالذين سمعوا القرآن
ولم يذعنوا لقبوله منحصرون في هذه الجمله وغير خارجين
عن هذه الزمرة فهذا حل الاشكال الاول واما قولهم
انه لا يزال يتخرج في كل صناعة ما يفوق مشاركيه فيها
فنقول ان كان هذا السؤال يتراءى في بادي الراي متعقد
غاية التعقد ومعناها نهاية الاعتياص الا انه اذا تومل
ما ذكرنا سقط برمته وذلك ان هذا الذي يدعي انه يفوق
في الصناعة ليس كذلك بل تخرج واحد يرى ولا يتحقق
انه امهر من غيره واحذق من صاحبه حتى تاتي لمحا لطه
ومن بدا نبه انه يشاركه فيما يدعي له التبريز فيه او يبرز عليه
واذا بحث عن هذا الماهر ونقر عنه صادف التنقير وجد في
جزء من اجزاء صناعته قد لازم السداد واخل في الباقي به
بالصواب وهذا موجب الطبيعه ونقصان الجبلة كما
يتفق ان يكون انسان جيد الحفظ الا انه لا يجيد التفكر
وقد يكون جيد التفكر الا انه لا يحفظ وعلى هذا سائر القـ

واما القرآن فانه في جميع معانيه التي يكون بها الكلام متمسكا متماسكا بيّنة
كامل غير ناقص ومتجاوب في كل ما يعونه لا متداع وهذه
خاصيته التي باين بها سائر المخاطبات والاقوال المؤلفة بالقوى
البشرية وبعض ما ذكرنا استشهادهم بامرئ القيس وللجاحظ فانه
ما يسلم لامرئ القيس ان يكون المقدم في الشعر بل عارضه علقمه
في قصيدته البائية ولم يرى نفسه دونه ووافقته على ذلك امراة
امرئ القيس وفضلت علقمة عليه فصار ذلك سبب طلاقه لها
وكذلك ما اثنته امرئ القيس لغير علقمه حتى قال الاما تنكر
بعد هذا وكذلك للجاحظ من الناس من لا يرى له درجه
البلاغة بل يخلط كلامه ما يهذي به الهذر ولا يعده في الفصيح
من الاقوال فضلا عن المباين لغيره نازلين عن رتبته وعلى
هذا امر جالينوس فقد استدرك عليه الخطاء الكثير ويرى
ان ابن زكريا افضل منه في

ومن املائه

واما ما ذهب اليه النظام من القول بالصرفه وان العرب
كانوا يقدرون قبل نزول القرآن ان ياتوا بمثل القرآن الى ان الله تعالى

ومن عجيب ... [illegible] ... واز [illegible]

منهم اي دواعيهم

لما انزل القرآن صرف دواعيهم وغاض منتهم حتى ظهر فيهم العجز
عن المعارضة وان كانوا قبل ذلك متأتين لمعارضته فهذا كلام
لا يثبت على السبك وغاص ايضا غوصا عميقا حتى استخرج معنى دقيقا
فقال ان الشيء اذا كانت اوائله في حد الممكن لم تقع اواخره في حد الممتنع
وايد هذا بان قال ان ضمة الكلمة الى الكلمة ممكن بسهل وضم
الثالثة اليه منقاد غير صعب وعلى هذا ضم الرابعة الى الثالثة
فصاعدا فاذا كان هذا ممكنا فما وجه خروجه عن القدرة
اما قوله الاول بان العرب كان في قدرتهم ان ياتوا بمثل هذا القرآن
قبل القرآن فرجم ظن وكلام تخمين والايمن اخبره مما اعتقد
فيهم وهذه خطبهم وارجازهم واشعارهم وما فاهوا به في
فنون المحاورات واصناف المخاطبات وقد وقف على مقدار
الفصاحة فيها ودونك هذه الدواوين فتصفحها فانك لا تكاد
تجد قصيدة واحدة متناسقة من مفتتحها الى مختتمها وانما
يشذ فيها المختار عبيد منها الجيد فمدار حمد طبقه
بالعرب واما ظنه ان الله تعالى نقض فانه

عظيم يجب ان يتعوذ منه وفيه نسبة العجز الى الله بان يزيد
كلامه على كلام العرب ونسلّم ان كلام بعضهم زائد على كلام
الاخرين ثم انه ان كان يستحيل الزيادة على فصاحة هؤلاء
فما باله يعتقد ان الشيء اذا كانت اوايله في حد الممكن لم يكن
اواخره داخلة في حد الممتنع واما حكمه بهذه القضية فبعيد
عن سنن العلم وبنحوه عن طريق الاستدلال فان الاوايل قد يجوز
ان يكون مخالفة للاواخر ويكفي في بيان هذا المثال ويجوز من
يقدر على حمل مائتي رطل فانه لا يستطيع حمل الف والفين فقد بان
في المواضع التي هي مظان التحقيق ان قوى الاجسام كلها متناهية
وانه لابد من ان ينتهي ويتقطع دون الزيادة على ما يليق بها وقوله
ان ضم الكلمة الى الكلمة ممكن دالّ على ضعف تصوره لمعنى
الفصاحة وخاصية البلاغة والاعجاز الذي يقع فيهما فان
التحدي لم يقع بان تضم كلمة او كلمات الى كلمة فقط
بل بان يكون الضم على وجه يوجب هذا التأثير العظيم في النفوس
وعى فيه فيه من الدقائق العجيبة والمزايا العظيمة هـ

ومما اعترض به الملحدون انهم قالوا انكم زعمتم ان القرآن لا مثل له
وهذا كلام اذا بحث عنه لم يحصل منه على طائل فانه ان كان
معنى المثل انه شيء مشارك في وصف من الاوصاف فالجواهر
والاعراض وان تباينت اجناسها فان التشارك في وصف
من الاوصاف موجود فيها وان كان معنى المثل انه شيء
يشارك الشيء الذي هو مثله في جميع اوصافه ومعانيه
حتى لا يخرم منها شيئا فذلك معدوم مطلقا فانه اذا كان شيئان
واحد منهما مشارك للاخر في جميع معانيه فذلك الشيء عينه
لا غيره ومعنى المثل يقتضي انه غير الشيء لا انه عينه ثم ان
عدم المماثلة كيف يكون وكل كلام فانما هو الفاظ ومعاني
ونظم والقرآن بهذه الصفة فان الفاظه هي العربية ومعانيه
هي المعاني المعتادة من الامثال والوعد والوعيد والقصص
والانباء ونظمه ايضا هو النظم المطروق المسلوك فبأي
وجه تدعون انه لا مثل له **والجواب**
عما ذكره الملحدون ان معنى المثل هو الشيء يشارك غيره

يصير بها مثلا لما ماثله وليس معنى المثل القسم الثاني فاذا كان
معنى المثل ما ذكرنا وكان القرآن كلام الله فقد شارك غيره
في المعاني التي تشتمل عليها الكلام ثم انه تميز عنها بزيادة في تلك
الاوصاف لا توجد تلك الزيادة في غيره وعلى هذا يطرد التماثل
في الجواهر والاعراض فانه انما يقال ان هذا الجوهر مثل لهذا
الجوهر اذا اشتركا في صفة لتحدا فيها ويقال ان هذا
الجوهر لا مثل له اذا كان يتميز عن الجواهر الاخر بخاصة
مخصوصة به ولا يقال كيف يطلق ان هذا الجوهر لا مثل له
والجواهر كلها متماثلة فانه صحيح ان الجواهر متماثلة من حيث
انها جواهر ثم انها بعد تتباين في خواص اوصافها ولوازم نعوتها
وكيف يجوز ان يقال ان الانسان مثل الحيوان الاخر ليس بانسان وان كانا
تشاركا في الجوهرية وصارا متحدين في الجواهر اتحادا من حيث
هذا الاعتبار ونكثر من حيث الاعتبار الثاني وعلى هذا
تماثل الاعراض وتغايرها فان السواد انما يكون مثلا لسواد
اذا كانا محلاهما متساويين في المقدار او كانا متوازيين

في ادراك البصر وتاثيرهما فيه فان كل محل احدهما داعيا ١١
ومحل الثاني داعيين او كان هذا يجمع البصر دون ما يجمعه الاخر
جاز ان يقال ان هذا السواد ليس مثلا لهذا السواد الثاني
وان كان قد تقرر ان الاعراض من حيث انها اعراض متماثلة
وكذا كلام الله تعالى على هذا النوع من الاعتبار فانه شارك
كلام المخلوقين ثم تفرد عن سائر الكلام بزيادة فصاحة لم توجد
مثله في غيره فلهذا لم يكن له مثل ومثاله هذا ان يقال ان يوسف النبي
عليه السلم لم يكن له مثل يعني انه تخصص بجمال لم يوجد في غيره
ولا يقال ان هذا لا يصح لان الجواهر متماثلة واما قولهم ان الالفاظ
هي العربية والمعاني هي المطروقة والنظم هو المعتاد فكذا اقول
ولو لم يكن الالفاظ عربية والمعاني معتادة والنظم مألوفا لما جاز
ان يفاضل بينه وبين كلام آخر فان الاجناس المتباينة التي
لا يجمعها جامع لا يقاس بعضها الى بعض ولا يفضل بعضها على
بعض لكن لما كانت الالفاظ عربية والمعاني والنظم بتلك
الصفة ثم طرق منها ما لم تكن في غيره من الكلام حسن حكمه

والترجيح ولو ان الانسان بيت مختار من شعر امرئ القيس بنا على
طريقة لبيد العبر ثم قال كيف يجوز ان يفضل بيت امرئ القيس على بيت
لبيد العبر والالفاظ هي العربية والمعاني والنظم هي المعتادة لكان
كلاما ساقطا واعتبارا سخيفا هذا ما اردناه من التقديم
قبل الشروع في الاخبار ونبدأ بها من نستبين على ما يوجبه الترتيب العلمي
وهذا اوانه

باب في فضيلة العلم

قال الشيخ الامام شمس المشرق محمود بن العربي الكاشي اخ السيد ابو الحسن
محمد بن هبة الله الحسيني وهو اخو السيد الاجل ابي الغنائم حمزة
الذي سمعنا عليه جامع البخاري قال اخ ابو عثمن البحيري قال ح
ابو بكر القطان قال ح محمد بن يعقوب الاصم قال ح ابو عتبة
قال ح بقية قال ح السري عن ابي صالح عن الضحاك
ابن مزاحم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
من خرج يطلب بابا من العلم ليرد به باطلا الى حق او ضلالة
الى هدى كان كعبادة متعبد اربعين عاما ح قال
اخ نا الشيخ المقرئ النيسابوري المعروف بالحيري قال اخ

عبد الواحد بن كامل الهمداني بكرمان قال اخبرنا ابن سلامة القضاعي
بمصر باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فضل العلم
افضل من العبادة قال الشيخ الامام وقد روينا بالاسناد
المتقدم عن النبي عليه السلام انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
الا انا لم نورد هذا الخبر لان بعض اهل الحديث قد تكلم في اسناده
الذي رووه فصار الحديث بصدد الغميزة فيه

قال ـــــ وبيان فضيلة العلم على غيره من الاشياء ظاهرة
بينة فان فضل الشيء على غيره انما يكون بان الرغبة فيه وما هو مرغوب
فيه صنفان صنف يرغب فيه لاجل ذاته وصنف يرغب فيه لانه
يتوسل به الى المرغوب فيه لذاته مثال ذلك الصحة فانها تطلب
لنفسها والاحجار كالذهب والفضة وغيرهما انما تطلب لانها يتوصل
بها الى الصحة والامر المطلوب الحقيقي هو الخلود في الجنة وهو
المطلوب لذاته فان الخلود اذا حصل لم يطلب به شيء اخر وما كان
موصلا الى هذا المعنى فهو مطلوب بعده وذلك الموصل انما هو العبادة
واما علم من ان العبادة لا يحصل الا بالعلم فانه ما لم يـ

العبادة ذريعة الى ذلك الامر المطلوب الحقيقي لم يشتغل بها واذا تحقق
كونها ذريعة لم يشرع فيها الا بعد الوقوف على احكامها من الكيفية والتقدير
والزمان والمكان وسائر اركانها ولوازمها لم يشرع فيها فلهذا كان العلم
افضل من العبادة ويعتبر قولنا علم يقع باشتراك الاسم على
اقسام كثيرة فمنها نافع ومنها غير نافع وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العلم غير النافع فقال واعوذ بك من علم لا ينفع ونحن
نذكر اقسامها ونشير اليها اشارة موجزة فنقول ان علم الكلام
هو العلم المقسم للعلوم والمتكفل بتمييز كل واحد منها عن الاخر
وايراد خصائصها واحصاء ثمراتها ومنافعها فانه يتكلم في
الموجود المطلق فيقسمه الى قديم ومحدث ثم يقسم المحدث
الى جوهر وعرض ثم يقسم الجوهر الى ما اشترط فيه ان يكون
حيا بحياة تحله والى ما لا يكون بهذه الشريطة ثم يقسم الحي
الى حيوان مطلق والى حيوان هو انسان وينظر في القديم
فيما يجب ان يكون عليه من الوحدة والقدرة والعلم والحياة
وانفراده معها وينظر في ان قدرته هي صحة الفعل منه

دار العالم بفعله واعمال افعاله ثم ينظر في افعال التي هي افعال الناس ١٣
تصنيفها فيصنفها الى المامور به والمحظور عنه والمندوب اليه
وهذا انما يصح هذا التصنيف بعد ورود النبي ولعطا كل فعل حظه
من التسمية فيلزمه ان ينظر فيما جاء به النبي من كلام الله تعالى ومن كلامه
والى ما امر به من لزوم الاجماع واجتهاد القياس فاذا بان له
انقسام اعمال العباد الى هذه الاصناف اسس الاعتقاد
الى نبي مبعوث يقف على كل واحد من هذه الافعال بامر الله تعالى
فيتضح له ان بعثة الانبيا واجبة وانه لا بد منهم في وجود الخلق
فاذا استكمل النظر في هذه المبادي وانتهى الى تصحيح نبوة للنبي
عليه السلام بما تفرد به من اظهار معجزات يعجز مشاركوه في الانسانية
عن الاتيان بمثلها استسلم حينئذ لاوامره ونواهيه وتقبلها
بالقيام بها وتوفية حقها وهو النظر في كلام الله تعالى وكلام
الرسول وفعله وللبحث عن معنى كل واحد منها في الدلالة
عاما وخاصا ومفهوم لفظ ومجملا ومفسرا وسائر
لوازم الالفاظ من حيث انها تدل فاذا صح هذه الاقسام

تمايزت العلوم عنده فكان صاحب العلوم الكلية ثم يتجزى وتتشعب
الى شعب فيشتغل كل واحد من اصحاب العلوم بذلك العلم الجزئي كالتفسير
فقط او الفقه فقط او اصول الفقه فان المفسر لا ينظر في كلام
الله تعالى على انه ثبت بالدليل انه كلام الله تعالى وانما يتلقى
ذلك من المتكلم الذي يدل على اعجاز الكلام الا النبي فان اتفق
ان يكون مفسر يدل على الاعجاز فذلك من حيث انه متكلم لا من حيث
انه مفسر ويكون قد دخل في صناعة اخرى وجميع ما تقدم
انما يتحرى به نحو السعادة القصوى في الدنيا وفي الاخرى فانه يستبان
بالدليل ان الاشتغال بهذه العلوم ذريعة الى قربة الله تعالى والخلود
في جنانه الذي هو النعيم الذي لا مطمح وراءه والاغتباط الذي
لا مستزاد بعده فاذا كان العلم بهذا الوصف ومنتجا بهذا النعت
فما خليق به ان يربى على كل مفضل ويزيد مزية على كل مرتاد
متطلب وهو جدير بتقديمه على العمل الذي هو العبادة
فهذا نظر في المفاضلة بين العلم والعمل والموازنة بينهما من حيث
العقل فاما ما يدل عليه الخبر المأثور الذي رويناه فقد دل كلامه

صلى الله عليه على انه يغير طلب العلم والنهوض له منيف على العبادة الممتدة ١٤
اربعين سنة فاذا كان للطلب نفسه بهذه المثابة فما قدر العلم اذا
اقترن بالطلب وحصل به فاما قوله من خرج يطلب علما فمن فيه
بمعنى الذي وخرج صلته والقائل مع الموصول في محل المبتدا ومما بعده
واحد من الجملة والجملة به مفتقرة الى اخر ليستقل بها كلام مفيد
وذلك الجزء هاهنا هو قوله كان فان قلت كيف يجوز ان يكون
هذا خبر المبتدا والمبتدا هاهنا جثة والخبر الذي قدرته معنى
وكذا ان حاصل الخبر هو العبادة او مثل العبادة ومثل العبادة
عبادة فهذا يؤدي الى قولك الذي يخرج عبادة وهذا فاسد
لا يتكلم به فالجواب ان الامر كما ذكرت لكن الذي وقع
خبرا هاهنا هو ما اضمر في كان من الخروج فان المعنى كان خروجه
او طلبه للعلم مثل عبادة متعبد اربعين سنة فان قلت
وقد تقرر في الاصول ان الفاعل لا يحذف فتقدير كلامك هذا يقتضي
ان الفاعل محذوف وهذا لا يجوز وان زعمت انه مضمر
فان المضمر انما يضمر اذا جرى ظاهرا وهاهنا لم يجر فلا طريق الى اضماره

فالجواب اما المنقض بحذف الفاعل فانه لا يجوز وانما
حكمنا باضماره فقط والاضمار انما يكون لشيء جرى ظاهرا او لشيء حكمه
حكم ما هو جار عليه وهاهنا وان لم يجر الفاعل ظاهرا فقد جرى
لفظ يدل عليه ومن خرج فان الفعل يدل على مصدره ويجوز له
واضحة وقد استفاض عن العرب هذا الصنيع وكثر عنهم كقولهم
قولهم من كذب كان شرا له يعنون ان الكذب شر له فقد
اضمر ولا كان الكذب ولم يجر هو بعينه وانما جرى الفعل
الذي هو دليل عليه فان قلت فقوله صلى الله عليه كعبادة
متعبد اربعين سنة امر تقدير وتوقيت للثواب الخارج في
طلب العلم حد في القدرة بالقدرة حتى لا يغادر منه شيئا
ام هو تكثير على سبيل الترغيب والحث للنية في الحق
فالجواب انه يجب ان يحقق ان كل ما صدر عن النبي عليه السلام
فهو حق او مثال الحق وليس فيه تحريف ولا تجوز
[illegible] من الوجوه فلانا الذي يقصر عن تصوره هو فهم الخلق
[illegible] العواقب على الحقائق التي اطلع عليها النبي هو فيها بتعليم تعالى

ومثال ذلك ان الطبيب يحتمي مريضه من الامراض دوا يتوزن من الاوزان
فيشبه في افهام من لم يتدرب بصناعة الطب ان تلك الاوزان مما يتوسع
فيها وانه كان يحتاج ان يذكر غيرها واما الماهر في تلك الصناعة فيعلم
انه لا معدل عنها ولا محيد كذلك هذه الامور المحدودة في الشريعة
مقادير مختلفة واوزان متفاوتة لا بد ان تكون محدودة على الحق
وان كان الناس لا يقفون ان يحققوا معانيها الا المستبصرين الذين
يتحقق لهم ارض العلم ويتفسحون في بقعة اليقين نسأل الله تعالى
ان يجعلنا منهم فانه القادر على ذلك

ومن املائه

باب في الاختيار من العلوم

قال اخبرنا ابو عبد الله النيسابوري قراءة عليه في داره بحيرة سالمة
قال اخبرنا ابن كامل الهمداني قال حدثنا ابو عبد الله باسناده عن النبي
صلى الله عليه انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
قال الشيخ البخاري الفقه في اللغة يعاقب العلم يقال
فقهت الشيء كما يقال علمته الا ان في الفقه زيادة معنى
وهو الوقوف على الشيء من طريق تفحص وللعلم لا يبتغى

ذلك ثم صار الفقه عبارة عن العلم المحيط باحكام المكلفين في
افعالهم واذا اتيهم فاذا صار ذلك عرفيته للانسان وملكة
يقتدر بها الانسان على استنباط الاحكام التي سكت عنها
الشارع والحقها بالمنطوق به فانه يقال فقه اذا كان
باب فعل مختصا بالطبايع والغرايز واما فقه بكسر
القاف فلا يكون غريزة انما ينطلق على ما يكون مرة او مرتين
ومراد النبي صلى الله عليه بالفقه المعنى الذي صار مختصا
بالاستعمال الشرعي وقوله في الدين تبيين لهذا المعنى
وانه لا يريد علما كيف اتفق فانه كان صلى الله عليه يعوذ بالله
من علم لا ينفع وقوله خيرا يريد به الخير الذي هو مطلوب
كل احد وذلك هو السعادة القصوى التي هي الخلود في الجنة
وهذا الموضع يقوم فيه النكرة والمعرفة مقاما واحدا لانه
الحال فانه لا يحتمل ان يعني هنا خيرا من الخيرات فان الغرض
الاشارة بالفقه والابانة على علو درجته فلو اراد خيرا
لضاع في هذا المعنى ليس بفقه وهذا كما يقال

١٦ انا في كل رجل فيفيد العموم وانما كان الفقه موقيا الى هذا الخبر
العظيم لان تفاضل العلوم وشرف بعضها على بعض يكون باحدى
ثلاث خلال اما لصحة الادلة التي في فلك العلم وكونها قاطعة
مؤدية الى اليقين واما بشمول جدواها وتعميم منفعتها
واما بشرف الشيء الذي فيه الكلام كالعلوم الالهية اما
عموم جدوى الفقه فظاهر بين وادلته فيها ما هو قاطع
وهي منتسبة الى اوامر الله تعالى فقد استبد الفقه بعموم
المنفعة واخذ من الادلة الصحيحة والانتساب الى اوامر الله
بالنصيب الاوفر قال انا السيد ابو الغنائم النجيبي
قال انا ابو عبد الرحمن الجبيري قال انا ابو الهيثم الكشميهني
قال انا ابو عبد الله محمد بن يوسف مطر قال انا ابو عبد الله
محمد بن اسمعيل عن سعيد بن يحيى بن سعيد قال نا ابي عن ابي بردة عبد الله
ابن ابي بردة عن ابي بردة عن ابي موسى قال قالوا يا رسول الله اي الاسلام
افضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده هذا خبر صحيح
متفق على صحته رواه البخاري في المسند بهذا الاسناد

وقوله صلى الله عليه من سلم المسلمون فيه مضاف محذوف يعني
اسلام من سلم المسلمون والاسلام في اللغة هو الانقياد
والطاعة قال تعالى اسلم واستسلم وسلم وقوله تعالى ولكن
قولوا اسلمنا يريد به الانقياد المجرد عن اعتقاد القلب
وقد يستعمل الاسلام لمعنى الايمان الذي يشتمل على اعمال القلب
واعمال البدن كما في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والمقصود
في الخبر هو هذا المعنى فانه لم يسال عن انقياد خارج عن الشريعة
لكن سئل عن انقياد مقترن باعتقاد القلب ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده لان الايمان
انما تتكمل شرايط الايمان والعمل به اذا قهر شهوات نفسه
فكفها عما تستدعي اليه من الايذاء باللسان والبطش بالبنان
وانما يقدر على ذلك اذا احاط علما وتيقن يقينا ان معاصي الله تعالى
بمنزلة السموم المؤذية فكما يتقي نفسه ان يتقرب منها مما هو سم
او ما يتوهم فيه لانه يعمل عمل السم فكذلك اذا لم يشك في ان المعاصي
[illegible] للنفوس بمنزلة السموم المهلكة وهذا كله انما يعرفه

17 اذا كان صادرا عن علم لا تخالطه ريب فلهذا ذكر النبي عليه السلام
من اللسان ومن اليد لما ذكرنا ولما كان الفقه علما باحكام افعال
المكلفين كان هذا الخبر داخلا فيه لان افعال المكلفين كما ذكرنا
اما بالقلب واما بالبدن وقد لستطيعها الاسلام فاذا كان المسلم
قد علم من العلوم ما يجب عليه وعمل من الاعمال ما افترض عليه
وكان كافا لاذيته للسان واليد كان افضل على غيره واما
تخصيص اذى اللسان واليد فلما نذكره بعد ان شاء الله وانما كان كذلك
بهذا التخصيص لان الاعضا السبعة التي هي الة في ان التي هي ابواب
سبعة الى المعاصي محاذية لابواب جهنم التي هي سبعة كما قال
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهي العين
والاذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل
وهي طرق الى الهلاك الا انها اذا استعملت على غير وجهها
لكن العين والاذن والبطن مما ينفرد المستعمل بضرره
فان الناظر اذا نظر الى ما لا يحل نظره اليه كان الذنب
مقتصرا عليه ولم يتعد من الناظر الى المنظور اليه

ومن املايه

من القبس

وعلى هذا المسموع والماكول المتناول واما الفرج فانه
وان كان يقع فيه مشاركة الاخر فلك ان كان ما فيه فساد
كان مرجع الامر فيه الى اذى اليد واما الرجل فانها
تابعة لليد في مساعيها فعادت الحال الى ان مورد باب
المسلمين انما هي اللسان واليد لانه باي وجه استعملها
وكان قاصد الشر فان الضرر متعد عنه الى غيره من المسلمين
وليستا كساير الاعضا التي ان بوشرت بهما معصية
فانها قد تخلو عن الاضرار بغير المباشر بخلاف هذين العضوين
فان في كل معصية وسيئة تقترف بهما لا تخلو عن اذى يصل
الى غير المقترف فلهذا خص صلى الله عليه هذين العضوين
وكان المعنى فيهما ما ذكرنا

ومن املايه
ما في من الايمان

قال انا الشيخ الامام
ابو نصر القشيري قال انا الشيخ الصالح ابو حفص عمر قال انا
ابو سعيد احمد قال انا [illegible] قال انا ابو الصلت
عبد السلام الهروي قال ح علي بن موسى الرضا قال حدثني

ابي موسى قال حدثني ابي محمد بن جعفر الصادق قال حدثني
ابي جعفر قال حدثني ابي علي بن الحسين قال حدثني ابي الحسين بن
علي قال حدثني ابي علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال قال
رسول الله صلى الله عليه الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان
وعمل بالاركان قال الشيخ الامام الايمان في اللغة
هو التصديق قال آمن بالله وهي صفات الله تعالى المومن
وجعله بعضهم من هذا وزعم ان معناه المخبر بحال
للخبر التي هي حاصل المومنين وجاء في الاثر على انه يوجب
يومن اهل طاعته من سخطه والايمان هو التصديق الذي
يومن فيه من الانتقاص والفسخ ومن هذا قال ناقة امون
اذا كانت مُوثَقَةَ الخَلق ورجل امين اذا كان يوثق بما يؤمنه
فان تناهت فيه تلك الصفة فهو امان وامنة فان كان
موثق لكل احد فهو امنة فمبني الباب كله على التاكيد
والوثاقة وبهذا فرق بين الايمان والاسلام فان الايمان تصديق
للشيء مع عقد القلب بحيث لا يتخلجه ريب ثم ان

ما جاء به مومن عند الله تعالى والاسلام ان ينقاد لما اتى به
مع قلق النفس وقلة اطمئنانها وعلى هذا قال الله تعالى
قالت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا فصح فيه بالفرق بين الايمان
والاسلام لكن الاسلام قد يستعمل ايضا استعمالا اخص من
طريق العموم ويراد به الدين الذي جاء به نبينا صلى الله عليه
وهو قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وقال عز وجل ان الدين عند الله الاسلام والتحقيق
في هذا ان ما ينزله الله تعالى على انبيائه ينقسم قسمين
اراء وافعال الاراء تنقسم الى ما يرى فيما كان في الماضي
والى ما يرى في الحاضر والى ما يرى في المستقبل وهذه الاراء
هي اعتقادات مجردة لا يلزم فيها ان يكون المعتقد عاملا
لشيء منها والقسم الثاني الاعمال وهي العبادات
والمعاملات وما يتصل بها مما هو منسوب اليها
فما كان من قبيل القسم الاول وهو الذي فيه اعتقاد مجرد
حقه ان يسمى بالايمان لان الايمان التصديق وليس في ذلك القسم

الا التصديق فقط والقسم الثاني حقه ان يسمى اسلاما لان الاسلام
انما هو الانقياد والخضوع وانما يظهر ذلك في الاعمال بالجوارح وعلى
هذا جاء بيان النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيله بين الايمان والاسلام
فانه قال على ما اخبرنا الشيخ الاجل ابو الغنائم قال انا ابو عبد الرحمن
قال انا ابو الهيثم قال انا محمد بن يوسف قال انا محمد بن اسمعيل عن
مسدد قال ح اسمعيل بن ابراهيم قال انا ابو حيان التيمي
عن ابي زرعة عن [redacted] قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارزا يوما للناس فاتاه رجل فقال ما الايمان فقال الايمان ان
تؤمن بالله وملئكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث
فقال ما الاسلام فقال الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان
فقد كشف النبي صلى الله عليه وسلم عن حقيقة التباين بين الامرين
وهو مطابق لما قررناه فان الايمان بالله وملئكته ايمان
بامور كانت موجودة في الماضي والايمان برسله تصديق
بامور موجودة في الحاضر والايمان بالبعث ايمان بما سيكون

في المتصل ثم خص الاسلام باعمال الجوارح ولم يدخل احد القسمين في الاخر
على ما هو مقتضى التحقيق وبعد هذا يجب ان تعلم ان الاسلام كما
ان للايمان استعمالات عدة منها الاستعمال اللغوي المحض ومنها
استعمال شرعي وللاستعمال الشرعي منه ما هو عام ومنه ما هو
خاص فكذلك للايمان قد يستعمل استعمالين احدهما في تصديق
لا يمازجه شيء اخر والثاني تصديق النبي عليه السلام في ما جاء به من العلم
والعمل ويطلق الايمان ويراد به جميع ما اشتمل عليه الشرع من
الاعتقاد بالقلب والاعمال بالجوارح ومنبع الخلاف
في ان الايمان هل يزيد وينقص هو هذا الموضع فان من اعتقد
ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ذهب الى انه عقد بالقلب والعقد
بالقلب لا يحتمل الزيادة والنقصان فانه اما ان يعتقد
او لا يعتقد ومن ذهب الى انه يزيد وينقص اعتقد فيه
على ما دوننا اولا من انه عمل بالاركان ايضا مع انه اعتقاد
بالقلب واقرار باللسان ومنشأ الاختلاف كله امثال
هذه المواضع من اطلاق الالفاظ المشتركة وهي التي لها الفاظ

متحده ومعاني متعدده فترى المتخالفين يتعاندان ويذهب
كل واحد منهما الى جانب واذا حصّل معاني تلك الالفاظ على ما هي
عليه رجع الامر الى الوفاق فعلى الناظر في العلوم ان يقرّر
كل معنى لكل لفظ على حده حتى لا يتداخل عنده المعاني المتباينه
اذا اتحدت الفاظها ؞

ومن الدليل القاطع على ان الايمان يقع على القسم العلمي الذي هو التصديق
قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فهذا كله من باب العلم
وليس فيه شي من باب العمل بالجوارح فان قلت فقوله
سمعنا واطعنا من باب العمل فيجب ان تكون الايه متناوله
للقسمين جميعا من العلم والعمل فالجواب ان قوله سمعنا
واطعنا اظهار لما حصل في قلوبهم من العلم والمعرفه وليس هذا
من الاعمال التي تكون نفيها داخله في الايمان وكذلك قوله
غفرانك ربنا هذا من لوازم الايمان كانهم علموا ما لم يعلموا لغ

ونبهوا على ما كان وقع لهم من الغفله والسهو في حقائق المعاني
التي يجب الايمان بها فاستغفروا الله تعالى مما جرى عليهم
ومناسب هذه الآيه قول الله تعالى ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملئكه والكتاب والنبيين ؞

ومن المواضع التي جا فيها الايمان والمراد به العمل فقط
مالقرابه يلمح للامام ابو الحسن الحافظ عن ابي كامل الجحدري
عن القاسم النصاحي باسناده عن النبي عليه السلام انه قال الايمان
نصفان نصف شكر ونصف صبر ومن البين انه انما يعني
به الاعمال دون العلوم فان الشكر انما هو الاعتراف بنعمة المنعم
باللسان والثنا عليه ومجازاته باليد عن معرفه لنعمه بالقلب
على الظاهر من هذه الاقسام الثلثه في الشكر هو الثنا على
المنعم فانهم قرنوا الشكر الى الحمد وفرقوا بينهما بان الحمد
ثنا على من فيه خصال جميله سوا تادى اثرها الى الحامد
او لم يتادى والشكر ثنا على من فيه خصال جميله
فتادى اثرها الى الشاكر وهذا كله من باب العمل لكن الشكر

٢١ انما يصار اليه بعد معرفة النعم التي توجب الشكر ولذلك لا يدخله في باب
العلم فان كل علم فمن شرطه ان تتقدمه العلم بوجوبه او جوازه
ثم يباشر ولنما يراد بالعلم ما ليس فيه الا مجرد تصديق بالقلب
ويجب ان يعلم ان الشكر من الخصال التي تؤثر لنفسها لا كالصبر
مثلا ولا كالزهد ولا كالخوف فانما يراد من الصبر مقاومة
باعث الشهوة بالباعث الديني فلو كفي الانسان معركة
باعث الشهوة لما افتقر الى الصبر والزهد انما يراد به
قطع العلائق فلو كان الانسان قويا على اصطلاع بالاوامر
الدنيئة او لم يكن له علائق اصلا لم يحتج الى الزهد والخوف
انما هو سوط يساق به البعيد عن قربه الله تعالى الى القرب
منه فلو انساق الانسان بنفسه او برغبه لحدوده على ذلك لما
كانت فاقة الى الخوف والشكر ليس كذلك فانه واجب
وعلى الانسان ان يتعرف مواقع نعم الله تعالى عليه حتى يعبده
حق العبادة وان لم يبلغ حقها واذا اراد الانسان ان يعرف
الله تعالى فانما يعرفه بافعاله وافعاله كلها نعم في حق الانسان حتى السموات

والكواكب والجماد والنبات والحيوان ولا تعرف عظمة الله تعالى
وعظيم قدرته الا بالتامل في عظمة نفسه وكيف ركب هذه الاعضاء
المتباينة والاخلاط المتعادية متضادة مسخرة لاغراضه
وكيف جعل يسمع من عظم ويبصر بشحم ويتكلم بلحم ليستقصي
تفصيل ذلك وتفصيل كل عضو اعطيه فانه تطول شرح
ذلك هنا ثم تامل السموات والشمس والقمر وكيف اجراهن
الله تعالى مسخرة للادمي فتارة تقرب الشمس من سمت
رؤوسنا منضجة مكملة لما قصد من الاقوات على التمام
وتارة تبعد فيتهيأ اجتماع ما يحتاج اليه الاقوات
من الامطار والثلوج التي بها حيوتها ولو دامت مشرقة
على موضع واحد حتى لم يمة الصيف مثلا لبطل الانتفاع بها
ولو اقامت بالبعد حتى لم يكن الزمان الا شتاء لتادى الامر
الى الفناء لكن الله تعالى بلطفه قسم الزمان بين بعد وقرب
ليعدل المعنى وهو العجيب في فلك القمر لما كان له اثر
... باشبه للشمس ولكان معظم اثره انما هو في الابدان

لم يجمعهما الله تعالى على صقع واحد في زمان واحد بل يكون
الشمس شمالية والقمر في الأبدار جنوبيا حتى لا يجتمع
اثرهما على موضع فيتعدى عن المبلغ المراد منه ويعدم عن آخر
فيتعطل اصلا بل ان كان احدهما في جانب كان الآخر
في الجانب المقابل له فتبارك الله احسن الخالقين ولهذا تلا
النبي صلى الله عليه لما تأمل السماء والنجوم قوله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ثم قال
ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته يعني اطرحها ولم يتفكر
فيها كما ان من اراد ان يمسح سبلته بقرطاس او خرقة فانه يرمي بها
وعلى هذا جميع افعال الله تعالى

ومما يوجب الشكر نعمة الله واحدة من وجه واحد
وما يوجبه نعمتين من وجهين لو تتبعنا تفاصيله اكثر من ان
يحصى وما يورد هاهنا فانما هو تنبيه على غيره ونفع به
التذكير حتى يتطلب ما هو الغاية في مواضع هي اليق به
وقد سألنا في هذا الموضع عن المحو الذي في القمر وعن سببه

واكثر الناس فيه ان من تأمل حكم الله تعالى في الموجودات
اختلفوا في سبب هذا المحو والذي صح عندنا ان الله تعالى سخر
السماء والارض والنجوم والشمس والقمر لمرافق عباده
وناط بها مصالح من مصالحهم ولما جعل القمر ضياء يتصرف الناس به
في معايشهم الى سائر ما فيه من المنافع وكان سعي الناس وتصرفهم
غير مقصور على النهار بل من الامور ما يفتقر فيه الى التصرف
بالليل جعل القمر نورا لتهتدوا به الا انه ما كان يجوز في بالغ
الحكمة ان يكون مساويا في استنارته للشمس فان ذلك
كان يفضي الى ان يستضر به فانا قد ذكرنا ان الشمس
لو دامت على صقع لانتهى دوامها الى اضرار باهله
فلو انضم الى الشمس ما يكون اثره مساويا لاثر الشمس
واجتمعا في النهار لوقع النهار شديد ولو كانت الشمس
بالنهار والقمر بالليل لما نال الاجتلام بالنهار فوجب
ان يكون القمر في ذاته كمد للون غير مستنير بنفسه
الا ان الحاجة تقع الى ان يستضاء به ويتدارك ما يفوت بالنهار جعل الضيانة

وقال ابن عباس جعل الليل ... الآية ... [illegible]

متدرجا من قلة الى كثرة ومستفادا من غيره وذلك بحسب
قربه وبعده من الشمس فالمحو الذي يرى فيه انما هو اللون
الذاتي والضوء الذي يرى عليه انما هو مستفاد من الشمس
لهذه الاغراض التي ذكرناها ويتبين هذه الجملة ما سبق من
ان الابدار يكون في جانب مخالف لجانب الشمس فان الشمس
اذا كانت جنوبية كان الابدار شماليا وبالضد حتى انجمع
موثران عظيمان فهذا ما انتهى اليه بحثنا في هذه المسألة
ونعود الى ما كنا فيه من تتمة الخبر الذي اشتمل على ذكر
الشكر والصبر فنقول ان الصبر في اللغة مرادف
لمعنى الحبس يقال صبر نفسه على كذا قال الله تعالى واصبر
نفسك الا ان الاستعمال قد استمر ان لا يذكر المفعول بل
يقال صبر فلان في مصيبته ومنه يمين الصبر وهي التي
يحبس عليها الانسان حتى يحلف شاء او ابى وقتل فلان
صبرا اذا حبس حتى قتل من غير ان يقتل في المعركة او بقتال
والمصبورة بهيمة تحبس وترمى حتى تموت فنهى عنها

فان كان مثل هذا الحبس في الطاعة سمي التجشم والصبر الكفيل
لانه يعوض ان يحبس الى ان يوفى بالمكفول به وما اوجبه الله تعالى
للصابرين موقوف على كثرة ما اوجبه بغيرهم وقد جمع لهم الصلاة
والرحمة والهداية في قوله تعالى اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وانما كان كذلك لان الانسان
في جميع احواله لا ينفك عن ملابسة الصبر فان احواله
اما ان تكون موافقة له او غير موافقة فان كانت موافقة
فالواجب عليه ان يصبر نفسه عليها عند حدود الشريعة
حتى لا يطغى فيبطر ولا يأشر ولا يصرفها الى غير مصارفها
وان كانت غير موافقة فالصبر فيها اوجب وذلك اقسام منها
ما كلفه من العبادات فانه ينبغي ان يتحمل المشقة في ادائها
ومن ذلك ما ينزل به من العوارض والآفات كالامراض
والفقر وما يلحقه من الظلم جميع ذلك يفترض عليه الصبر
يستوجب الثواب العظيم ومن امثاله

٢٧

وما وقع فيه الايمان بمعنى العلم والتصديق الذي قدمنا ذكره وحمل عند
جماعة على انه من الايمان الذي يدخل فيه العمل ما اخبرنا الشيخ الاجل
ابو الغنايم بنيسابور قال انا ابو عبد الرحمن عن ابي الهيثم عن محمد بن مطر
عن محمد بن اسمعيل عن اسمعيل قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن
حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
قال الشيخ الامام وهذا حديث صحيح اشتمل عليه جامع الصحيح
البخاري وقد حملوا قوله ايمانا على انه دال على ان قيام رمضان
من الايمان وهذا الاستدلال ليس بصحيح لان قوله ايمانا واحتسابا
ذكر للعلة الحاملة على قيام رمضان كما يكون العلم بالله تعالى
والتصديق بنبيه وشريعته حاملا على الصوم وساير العبادات
فلا يكون نفس تلك العبادات علما وان كانت انما حصلت
من العلم وبالعلم فكذلك قوله ايمانا واحتسابا انما يعني به
ان من قام رمضان قياما صادرا عن يقين وحاصلا بعلم
فعله يستوجب ان يغفر له واما اذا صامه لا على هذه الصفة

فانه يكون داخلا في قوله صلى الله عليه كم من صايم ليس له من
صيامه الا الجوع وكم من قايم ليس له من قيامه الا السهر
فان قلت فانا اذا ذكرنا علة الفعل ويكون غرضه فانه يمكننا
ان نجعل العلة خبرا عن ذلك الفعل ولا تكون خبرا عنه الا اذا
كان اياه وذلك انا نقول ضربت زيدا تاديبا له فيجوز
ان نقول ضرب زيد تاديب له فيقع تاديب خبرا عن ضرب
وانما يقع خبرا عنه اذا اتحدا في المعنى فلانك لا تقول
زيد منطلق الا اذا كان المنطلق زيدا وزيد اياه
فيصح لك اذا قيل قام رمضان ايمانا ان تقول قيام رمضان
ايمان واذا كان القيام ايمانا كان الايمان قياما واذا كان
الايمان قياما والقيام عملا كان الايمان عملا فالجواب
انا اذا قلنا ضربت زيدا تاديبا له وقلنا ضرب زيد تاديب
فان بين الموضعين فرقا وذلك لان الاول المنصوب
… الضرب واذا كان علة له فانه يكون متقدما على
فهو الضرب لان الانسان يخطر بباله ارادة التاديب

فيحمل ذلك على الضرب فيجمع الضرب فاذا كان متعدما عليه ٢٨
فانه لا يكون اجباه فان المتحدين لا يتقدم احدهما على الاخر
ولا يتاخر ثانيهما عن الاول بل لا يكون ثم ثان واول واما
اذا قلنا ضرب زيد تاديبا له فان هذا التاديب في المعنى
غير التاديب الذي ذكر منصوبا فان المرفوع هو الذي حصل
بالضرب وتبعه وكان وجوده به فالنحويون اذا ذكروا
ان المفعول له يجب ان يقع خبرا عما جعل هذا المصدر
مفعولا له لا يريدون ان معناه في حالة النصب كمعناه
في حالة الرفع وان كان اللفظ واحدا وكيف يكون ذلك
والنصب والرفع والجر انما وضعت علامات مؤذنة بتباين
المعاني ففي الموضع الذي يكون فيه منصوبا معناه مغاير
لمعناه اذا كان مرفوعا فقولنا قيام رمضان
ايمانا يعني به ان الايمان يتاكد به ويتحقق ويخرج الى الوجود
ويتحصل وذلك لان الاعمال امور مشاهدة ومدركة
بالحس فهي اظهر والايمان الذي هو العلم كامن

في القلب وبمنزلة الغيب فاذا اُدرك من لوازمه وتوابعه
شيء بالحواس فقد تبين ما كان خفيا وصار ظاهرا
جليا فهذا احل هذا السؤال وهو غامض يستدعي تاملا
وفضل نظر واما قوله صلى الله عليه واحتسابا
فان معنى الاحتساب ان يتحرى الانسان فعلا يحوز به
الحظ والفائدة لنفسه واشتقاق ذلك من الحساب
وهو ان يباشر ما يكون محسوبا له ومثبتا في ديوانه
فان قلت فهذا يدل ان كل فعل باشره الانسان
فانه يجوز ان يسمى احتسابا وليس كذلك فان الاحتساب
كما ذكرت لا يستعمل الا فيما فيه حظ وبالجملة خير للمحتسب
فالجواب ان مقتضى الاشتقاق يوجب ما ذكرت الا
ان هذه الصيغة وهي صيغة الافتعال توجب اختصاص
الخيرية الفعل الذي وقع الاحتساب به فان هذه الصيغة
دالة على ان الفاعل فعل ما فعله لنفسه وما يفعله الانسان
لنفسه فهو الذي يتحرى به الخير ويتوخى به النفع فمن ذلك

ما يقال كتب واكتب فان كتب شايع بين من كتب لنفسه
وبين من يكتب لغيره واكتتب لا يكون الا لمن يكتب لنفسه والبرهان
القاطع على الايمان في هذا الموضع انما المراد به العلم قوله
صلى الله عليه غفر له ما تقدم من ذنبه وذلك لان
القيام اذا حصل من غير ايمان باعث عليه كان قياما
لغوا وذلك ليس بموجب لمغفرة ذنوب فان قلت
ان الصيام اذا كان صادرا عن علم فكيف يكون ذلك موجبا
لحط ذنوب ومغفرتها فالجواب ان الانسان
اذا علم علما يقينا ان صيام رمضان واجب عليه فانه يكون
قد تقدم بمعرفة الله تعالى التي هي الموجبة لصيام رمضان
ويكون قد علم ان اوامر الله تعالى انما هي بمنزلة الادوية
الشافية وان معاصيه بمنزلة السموم المودية له وانه بالمرصاد
يجازي من اساء واحسن فاذا تمت عنده هذه الجملة فانه
لا بد من ان يكون نادما على ما فرط منه من سيئات قد انعقب
عليه واذا ندم فالندم توبة والتوبة تحط الذنوب

فبهذا الترتيب يصير قيام رمضان سببا لمحو الذنوب وغفرانها
ومما اشكل على الناظرين في الاخبار ما روينا عن المقرئ ظريف
الحيري عن عبد الواحد عن ابن سلامة باسناده عن النبي عليه السلام انه قال الحياء شعبة من الايمان
قال الشيخ الامام وقد تحير فيه من لم يوف النظر حقه
ووجه الاشكال انهم قالوا ان الحياء ليس بخاص بالايمان فانا نرى
الكافر حييا ونرى المتهتك بالايمان وقحا ومما يدل على هذا
انه قد كان في الجاهلية قوم مدحوا بالحياء ولا يجوز ان
يوصفوا بالايمان وكذلك في المؤمنين من يوصف بالقحة
وقلة الحياء ولا يجوز ان يسلب عنه اسم الايمان وقد حدثنا
ان الشيخ ابا بكر عبد القاهر سئل عن معنى هذا الخبر فلم يحر جوابا
واستمهل فعوود فقال اترون اني غافل عما سالتم
فقد فتشت كذا وكذا جلدا ولم انته الى ما يثلج نفسي
قال الشيخ الامام والذي نقوله نحن والتوفيق من عند الله
ان معنى الحياء الذي هو محمود في الشريعة هو انحصار النفس
عن خوف قبيح يأتي به وهذا المعنى انما يكون بعلم الانسان

٢٧ واحاطته بان ما ياتي به قبيح لنفسه فيرتدع نفسه عنه
واذا كان الانسان عالما بهذه الصفه ولم ينازعه اسباب
الغي والهوى انتهى به هذا النظر الى الايمان فاحاط بجميع
اقسامه فكان الحيا قسما واحدا من تلك الاقسام المتقدمه
واما الحيا الذي كان يستعمله المدح في الجاهليه فذلك
نوع آخر له مشابهه لما ذكرنا وجدنا هو ضعفا كان
يعتري للانسان فيمنعه عن النزاع في محرات الامور
وكانت صورته شبيهه بصورة الحيا الذي هو انحصار النفس
من خوف القبح فبين الحيائين تباين في المعنى وهذا من قبيل
ما اشرنا اليه قبل من ان الالفاظ المشتركه يوقع غلطا
وحيره للناظرين فان الانسان اذا يسمع ان الفلك ارفع من الارض
وما كان ارفع من الشيء فهو اعظم منه لم يكن عنده ببادي
النظر والعيان غير المنتج ان يكون الفلك اعظم من الارض
فيتحير في ذلك ولا يمكنه ان يكذب حسه فيتردد بين
ان يرفع العلوم وان يرى ان هذه المقاييس لا توجب علما
بعينها

ومن املايه قد كنا ذكرنا ان الاسلام يذكر ويراد به
الشريعه التي اتى بها نبينا صلى الله عليه وسلم ومصداق ذلك
في ما اخبرنا السيد جمال العتره حمزه قال اخ الحيري قال انا
ابن المكي قال انا محمد قال انا البخاري عن مالك قال اخبرني
زيد بن اسلم ان عطا اخبره ان ابا سعيد الخدري اخبره انه سمع
رسول الله صلى الله عليه يقول اذا اسلم العبد فحسن اسلامه
كفر الله عنه كل سيئه زلفها ويكون بعد ذلك القصاص الحسنه
بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسيئه بمثلها الا ان
يتجاوز الله عنها قال الشيخ الامام وقد استبان
انه يريد بالاسلام هنا الايمان وان ياتي باعمال الايمان فان مجرد الايمان
عاريا عن العمل لا يكون ذلك حسن اسلام وانما حسنه في ان
يبالغ في القيام باوامر الشريعه على قدر ما يبلغه وسعه
وينهض به طاقته وتكفير الذنب هو ستره وتغطيته وكفر
الكافر هو جحوده نعم المنعم التي لا ينبغي جحودها والجحود سترها
والكافر الليل الذي يغطي ما به والكافر الذي تغطى بسلاحه وكفر

قد ستر من غفر فان الغفر هو الستر قال عمر رضي الله عنه
اصبغ الثوب فانه اغفر للوسخ الا ان الاستعمال اختص غفر فيما
يكون ستراً للامور مذمومة واختص كفر فيما يكون ستراً
لامور محموده فان كفر النعمة ستر لامر يجب اظهاره
وهذان اللفظان من الالفاظ التي يدل فيها تقارب
الالفاظ على تقارب المعاني كالنضخ والنضح والتهكم
والتهدم فان التهكم تساقط على الانسان من غيظ
كما ان التهدم تساقط الجدار ع وصلى الله على محمد واله اجمعين

فرغ من تحريره وقت العصر يوم الثلثا في عشرة شهر الله المبارك
رمضان سنه سبع وثمانين وثمانمائه محمد بن يوسف عفى عنهما

الكاتب بطرف اليسار ح

لمير الحسن السجزى من قصيده له

قبها وجيخ دارم زنوار ارتيسر بدرش سيلاب جون كرد ار كند همچون حباب قول وصحيح دعه

وله من قصيده

آب حيات جون عمالات ازاد رسد حاجت بود مر تو را ابتصفيه